

المقامة السادسة تسمى الوجدانية

تتضمن اخبار الشيخ ابن عيسى بوعدة الزمالة و صحبته للجمالة
و تفسير الأحاجي المودوعة في هذه المقامة

اخبر امحمد بن العربي قال كنت يوما بسوف الثلاثة، لافاضي مأرب العيالة، فبينما
ادور بين غاش معرعر، وكثرة من الأكباش و تبعرر، إذ سمعت برّاحا يقول، يا معشر
الناس اسمعوا لما أقول، ان وعدة الزمالة، تكون يوم الخميس القابل بلا امتحالة، فهشر له
سمعي، وحدّث لي ان أعود مع نجعي، ففصلت كتّانا و خيّطت، واشترت صابونا
وصبّنت، وطعنت السيل و تنظّفت، و لمّا قرب المعتاد، واجتمع المعياذ، وذهبنا الى ان
وصلنا الملعب، بعد ان قطعنا مسافة متعب، فوجدنا فساطيط واخبية كثيرة مطرصى،
وخلقا من بني ادم ما لا يحصى، فقصدنا منهم فيطون القايد، ونزلنا فيه كالعادة والعواید،
فصرنا ننظر لما يظهر، ونتأمل فيما يحضر، إذ طلع من صدر البرية زمل مريّزم، و
غاش مهيلم، فلما زال ضهبه و قرب، ونحن ننظر اليه بعين ملهّب، رأيناه محتويا على
احجاف عجيبة واكفال، وحولهم فرسان مهیئة و رجال، و في وسطهم شيخ قد كبرت
عمامته، واصفرت دربالته، و تكشردت لحيته، وتفاقت شحمته، وبلغت في الغلظ لحيته،
وهو راكب على ثلب كأنه قبّون من نباغ، و السايق به قُبّان من بني صباغ، وهو يشلوح
بذراعيه، وينشد على القوم من قوافيه:

أرعاين الخيل انقسموا بجهات * غزر البارود يزيّن المشالي
ارواح من الملعب و انطحوا الجحفات * وانتبهوا لا تذوش من اوالي
شدّ رسان الخيل بالسرعات * و السّمعوا لِمَا قال بن عوالي

قال ابن العربي، فقلت لاصحابي، من هو الزمل الجايز، في اجتهاد لعبه فايز، ومن هو الشاعر، في هذا الوطن الناغر، فقالوا لي اما الزمل فمن نجع الغرابية واما الشاعر فابن عيسى العوالي صاحب النواله، فلما سمعت ذلك تشوّش قلبي لالتقائه، كما يفرّ الطير لنجاته، فهنيت رفيقتي عن خبر وتبعته، لانظر اين ينزل مع دوحته، فاتلفتة في وسط الغاشي، ولم اجده من كثرة الماجي والماشي، و كان ذلك الوقت اخر النهار، وقد قرب الاصفرار، فحرت لوحدانه، كما يحير الطالب لامتحانه، فصرت افلي عليه القواطن و القهاوي، وكل الحلقة اجتمعت على مدّاح أو عيساوي، و لا وجدت من يرشديني إليه، و لا من يخبرني عليه، حتّى استدل جناح الليل و ازدهر بنجومه، و شعشع البدر بضوئه و نوره، خشيت في نفسي عدم استلقاياه، وغلب الاياس الطمع لاتوايه، فعجت الى قرب اخبية محرمين، من اهالي ناس مكرميين، و بساحتهم بنات يلعبون، وبايدهن يصفقون، وبارجلهن يركلون، وامامهن شيخ يأمرهن الفعل، ويصف لهن صفة صفق اليد والرجل، وكأنه يعلمهن الربط والحل، فاشتملت نحوهن، لاعرف من هو الممتزج معهن، فلما دنوت تحققت بالسمع نعمة ابن عيسى، وخشيت عليه انه ضررته تفليسي، ثمّ اني افنقته، ولافعاله افنكرت، وعلمت ان ذلك حيلة من حياله، و انه ناصب للاقتناص شبكته وحباله، فاخفيت في مكان قربه، لاحصل ما يبث علمه، فلما تمّوا البنات اللعبة، وزولوا على قلبه الغلبة، قال لهن يا معشر البنات اتردن ان اخرفكن، أم تحبن ان القي عليكين المشكلات، و احاجيكن فقالوا له البنات أت ما عندك من المشكلات، قال ابن العربي فعند هذا تتحنح، وسرّح حلقه من المبحح، وتطنّب وعزّا بصلته، وامّهات البنات ترقب عليه من كل فاهف خلفه، و قبض على الاولى منهن وقال لها يا من لها سمايما رقيقة، ما تقولي ان قال لك المحاجي للوا⁴² في الحفيرة، ثم نقر الثانية و قال لها يا من لها نعوت المدح كأمّها، ماذا تماثل انحل احزامها، افترقوا اعضامها⁴³، ثم هزّ الثالثة و قال لها يا صاحبة الكيد و العناد، ما تقولي

⁴² للوا في حفيرة فهي النار القليلة أي نوبرة.

⁴³ انحل احزامها افترقوا اعظامها فهي حزمة الحطب لان حزمة الحطب لما ينحل الحبل الحازم لها يفترقوا عيدانها.

للذي حاجاك فولتتين زرعوا بلاد⁴⁴، ثم لفت للرابعة و قال لها يا من فاقت في حسنها الاواه، ما تقولي لمن قال لك راه راه، والعلام وراه⁴⁵، ثم نامس الخامسة و قال لها يا من لها قلب صافي من الغش، ماذا يصاوب ان قيل لك الارش، ارحى فوق ارحى وهي ما تطحنش، راسها راس اللفعة وهي ما تقرشش⁴⁶، ثم لامح السادسة و قال لها يا بالغة الاوصاف بيضة و حمرا، ما جوابك للذي دعاك يا خضرا، يا حرار يا مزار يا مقطوع من شجرة، ضلّ يسبح في الاوطان خلّى جرته حمرا، منه تركب الفرسان و منه تلبس الشهرة⁴⁷، ثم دكّ للسابعة بجانبه و قال لها يا صاحبة المجد و المنايا، ما ذا يماثل ان قلت لك في معنايا، تسمى بسين ما هي سلسلة ما هي سكين ما هي من احروك البنايا، فكّها و الآ نوضي من حذايا⁴⁸، ثم قام و قال يا جمع البنات اني معنتكن و ميزتكن، وان شئتوا ان ازيدكن فحاجيتكن، و لو ما هما ما جئتكن⁴⁹، وكأنه اراد الذهاب، و يتركهن بالانتهاج، فاعتلقوا به البنات، كاعتلاق الدابة بالدلمات، وقالوا له لا نسرحوك الا إذا عزيت ما غطيت، و كشفت ما غميت، قال بشرط ان تعوضوا لي ما منيت، فارسلوا بعضهن ليجمعوا له، و يفرضوا له ما وجب عليهن من ماله، فما لبثوا ان اتوا بصرة فيها جملة دنانير وبيدهن رزمة فيها ثياب من كتان و حرير، فلما قبض المعهود، و نجز المقصود، شرح لهن ما طلبوه، و اوضح لهن ما جهلوه، و اودعهن و سرحوه، فحينئذ قمت من موضعي و لقبته، و قلبي متزاحف مما رايت، و قلت له ما هذا الفعل، يا منجوس، يا من لا مثل لك في الجنوس، اتطمع في النسا و تترك الرؤوس، فتأوه و خنقته عبرة و انشد و دموعه غمرة:

يا ابن العربي يا حبيبي * لا تلومني فيما مرّ
ان الدهر نحس بيدي * وصير عيشتي مرّة

⁴⁴ فولتتين زرعوا بلاد فهما العينان لانهما ينظران البلد.

⁴⁵ راه راه و العلام وراه فهو اليربوع و كعلته طويلة و رقيقة سوه راسها فيها شي من الشعر .

⁴⁶ ارحى فوق ارحى الخ فهو الفكرور و يقال له بلغة العرب السلحفة راسه كاللفعة و جلفناه كالرحى.

⁴⁷ يا حرار يا مزار يا مقطوع من الشجرة الخ فهو المضمدم المعد للحراثة و يقال فيه ايضا المحراث.

⁴⁸ تسمى بسين ما هي سلسلة ما هي سكين ما هي من احروك البنايا هي الساعة.

⁴⁹ لوما هما ما جئتكن فهما الرجلان و يقال ايضا الكرعان و المعنى لولا رجلي ما وصلت اليكن.

واني تركت بنت سعدي * في خيمتها وقفرا
لا لها مما يشيد الجعدي * الا المناصب في الحفرة
و اني رايت اهل الوقت * فلم احد لهم بجزّة
ما فيهم الا الحسد والبغض * و بدلوا بالخير شرا
و اني ضربت عنهم صفحا * و دحضتهم بالجزع فرا
و لذا الى النسا ملت * نلت ما يسدّ فقرا
لولا الاضطرار ما فعلت * و ان عدت فاكوني بجمرة

قال ابن العربي فلما تمّ ابياته، و بين حاله واعداره، صفحته بالسلام، و تحييته بالاكرام،
فاخذ بيدي و انصرفنا الى فيطون خفيّ المكان، مهذّن البساط بحسن و أمان، فبتنا تلك
الليلة في طرب حديث، ونشر حديث، الى ان اصبح الصباح، و تمّت الوعدة بعافية بحفظ
الواحد الفتاح، فتوقّع الهجيج، وافترق الهجيج، و فاعت كل طريق بالمجيج، و اختلط
الفارس و التراس و النهيج، ولا تسمع الاّ صياح و ضجيج، فافترقت مع علامتنا ابن
عيسى وانا رايم لاجتماعه، و اوددت ان تلك الوعدة كانت عاما باهلاله.